ميتافيزيقيا

الدرس الحادي عشر

أفلوطين : العالم والنفس

1. تذكير : رفض الثنائية

- لنتذكّر أوّلاً أنّ العالم واحد بالنسبة لأفلوطين (في دراسته لمحاورة **طيماوس** لأفلاطون)، وهو يتميّز بذلك عن الأفلاطونيين المحدثين (نجد عندهم العقل الإلهي الّذي يفكّر بالمُثُل / والعقل السماوي، اي عقل "نفس العالَم" الّذي يصنع عالم المادّة).

- رفضه للثنائية هذه لا يعني أنّه يدافع عن وجود عقل واحد يكون هو الكلّ. بل هو يمرّ **برفضه للعقل كمبدأ أوّل**.

- على كلّ الأحوال، عليكم أن تحفظوا بأنّ كلّ ما نقوله، كلّ الأشياء الّتي نذكرها وندرسها متواصلة مع بعضها، فليس هناك من فصل حقيقي بينها، فهي كلّها ونبقى معها في **الواحد**.

2. بعدَي النفس

- لنتذكّر أوّلاً أنّ النفس تأتي من العقل، فهو ينتجها.

- تشكّل النفس إحدى الحقائق (réalité) الرئيسية، وتملك قوّة. فهي من ناحية تشترك مع علّتها، الّتي أعطتها – أي العقل – وهي من ناحية أخرى قوّة حقيقية، فتنتج بدورها، وما تنتجه هو العالم الحسي.

- ولا يتوقّف عمل النفس هنا، أي على إنتاج عالم الحواس، فهي تنظّمه أيضاً.
فليس هناك من رفض لعالم الحواس هنا، وليس من تحويل له إلى مجرّد مظاهر قد تكون خدّاعة.
وهذا مهمّ جدّاً.
فنحن الآن قد ذهبنا أبعد من أفلاطون.
ليس العالم الحسي عالم المظاهر فقط، بل هو من إنتاج نفس العالم الّتي ينتجها العقل، وذلك، وقبل كلّ شيء، "على صورة عالم المعقولات"، تقريباً بنفس معنى قملنا أنّ:الإنسان على صورة اللّه".
يعني ذلك مباشرةً أنّه ليس هناك من مفهوم "شرّ" في هذا الإنتاج، أي في العالم الحسّي، لكون النفس عقلانية – فتسمح للعالم الحسي نفسه أن يشترك في عدّة عناصر أساسية من العقل، وهي عناصر كان أفلاطون قد جعلها محور أبحاثه. لنذكر بعضاً منها :
الخَير
الجمال
العقلي/العقلاني

- لا أقول أنّه علينا أن ننسى شيئاً أساسياً وهو أنّها، من جانبها الآخَر، في الضرورة على اتّصال بالمادّة (إذ يجب أن تعطيها "الحياة"، الحركة، الحيوية، ولو أتت هذه الحياة من العقل، الّذي يحتوي على الحقائق، المُثل، الّتي هي الحياة (أذكّركم...) - أي على اتّصال بالفوضى، ما هو غير محدّد، ومنه الجسم الّذي ستعطيه الحيوية، الحركة – يبقى أفلوطين في ذلك وفياً لأرسطو.

- <u>تداعيات ذلك ومشاكله</u> : هناك اشكالية واضحة هنا. فدور النفس ليس واضحاً تماماً، إذ تبدو ممزّقة بين احتمالَين أو نوعين من "الحياة"، بحسب كلمة أفلوطين.
ما الّذي يحصل لها عندها؟
تسقط نحو عالم الحواس.
ولكن هذا السقوط غير كامل، ويحمل درجات كختلفة، بحسب دخولها في التعدّد.
فنحصل على القسمَين التاليَين، بحسب أفلوطين طبعاً :
ا- نفس العالَم – وهي الجسم الّذي تحييه، تحرّكه، وذلك بشكلٍ كامل وغير قابل للفساد. وهو إذاً **لا يتغيّر**.
ب- نفوس الأفراد الأحياء : وهي تخضع للتغيّر والفساد، وبالتالي الموت.

ترون بالطبع بوضوح الآن صعوبة هذه الإشكالية. وقد يصحى الغنسان الليالي ساعياً إلى فهمها، شارباً فناجيج القهوة الواحد تلو الآخَر، مدخّناً الغليون تلو الغليون، دون نهاية. فها نحن مع ما يتجزّأ ولا يتجزّأ، التغيّر واللاتغيّر، وما إلى ذلك.
يحاول أفلوطين طبعاً أن يفسّر ذلك أو بأن يسلّم بوجود هذه المشكلة العويصة، ساعياً إلى حلّها في مقالته عن النفس – هذا الواقع، هذه "الحياة"، الواقعة بين العقلاني والحسّي. الأفضل هو أن نقرأ النص، بالتحديد بداية المقالة 21 :

> إنّ الذات (Realität) حقّاً إنّما تكون في العالم العقلاني؛ والعقل أفضل شيء في هذا العالم. ولكنّ النفوس توجد فيه أيضاً، فهي هنا لأنّها تأتي من هناك. فذلك العالم يحتوي على أنفس دون أبدان، بينما عالمن هنا يحتوي على أنفس دخلت في أبدان وتمّ تجزيئها وتوزيعها على الأبدان. بينما هناك، فبالعكس، العقل كلّه هنالك، دون أن يكون منصلاً أو مجزّأً، وكلّ الأنفس مع بعضها في العالم الأزلي، الّذي ليس له امتداد في المكان. فيبقى العقل دائماً غير قابل للفصل والتجزيء، بينما طبيعة النفس، الّتي لا تعرف الانقسام والتجزيء هناك، أن تتجزّأ. ويتمّ تجزّؤها بالفعل بانسحابها من الأبدان ودخولها فيها.

ويتابع فيتابع أفلوطين، ونراه يتخبّط بعض الشيء، بالرغم من كون المقالة قصيرة.
على كلٍّ، دعونا نحلّل سوياً !

3. الأنفس

حسناً...دون الدخول في كلّ الخلافات عن هذا الموضوع، هناك ما هو جيد في عمل أفلوطين. فنخرج ، بين التجزيء والغير قابل للتجزيء، بشيءٍ جديد : **هناك نوع من النسابة بين كلّ الأنفس**.
سيسمّيها أفلوطين **بالأخوات**، هي متعدّدة لكنّها متطابقة، واحدة نفسها.
ونسأل الآن : كيف "تشارك" الأبدان في الكيان؟

4. الواحد والانبثاق

كلّ واحدة من "الحقائق" الثلاث هي خارج الأخرى وتشكّل زمنياً نوعاً من السلسلة، ولكنّها في نفس الوقت واحدة. توجد كلّ سابقة في الحقيقة الّتي تتبعها، أي أنّ الواحد في العقل، وهما كلاهما في النفس.
يمكننا القول إذاً، إذا ما أكملنا الانبثاق، أنّها في كلّ واحدٍ منّا، وهذا ما يؤكّده أفلوطين.
وهذا ما يفسّر مقدرتنا، كأنفس بشرية، أن نفكّر، أن نتأمّل المبدأ الواحد، أن نذهب نحوه، أن نكون فيه، أن نكون هو نفسه، في الواحد.

5. مشكلة المادّة

نعم نعم نعم... لا تزال هناك مشكلة.
لا يقبل أفلوطين، مثله مثل أرسطو، بفكرة أفلاطون القائلة بوجود صانع للعالم المادي، يأخذ المادّة وينسخ العالم العقلاني فيها.
"كلّا !" يقول أفلوطين. هناك "صدور" أو "إنبثاق"... في كلّ الأحوال، نصل إلى المادّة. وهذه، كنفس نباتية، تُنتج، تعطي، **توجِد المادّة**.
ولكنّنا نعرف، وقد ردّدت مراراً، أنّ الواحد والعقل موجودان بدورهما في النفس، ليس هناك من انفصال تام أبداً. وبالتالي يوجد العقل المادّة من خلال النفس، اي أنّ العقل يوجد ما ينفيه : اللاعقل المحض.
بالإضافة إلى ذلك، يقول أفلوطين أنّ المادّة هي مع ذلك الشرّ، كما أنّ الواحد هو الخير (فيبقى أفلاطونياً).

6. التحرّك الثنائي

التحرك نحو الأسفل : انبثاق الأقانيم
التحرّك نحو الأعلى : الارتفاع، الارتقاء نحو الواحد.

نص

أفلوطين، 6، عن نزول النفس وحلولها في الأبدان

أستفيق أحياناً إلى نفسي، خارجاً من جسدي. غريباً أكون عن كلّ شيء، وفي وضعٍ حميم مع نفسي، فأرى أكثر الجمال روعةً. وأنا أكيدٌ عندها أنّ لي قدر عِلِيٌّ. ونشاطي هو أعلى درجات الحياة. وأنا متّحد بالكيان الإلهي. وعندما أصل إلى هذا النشاط، أغدو فيه فوق الكيانات العقلانية الأخرى. ولكن، بعد هذه الراحة في الكيان الإلهي، ونزولاً من العقل إلى التفكير الإنعكاسي، أتساءل عن كيفية قيامي حالياً بهذا النزول، وكيف أمكن للنفس أبداً أن تنزل وتحلّ في البدَن، بما أنّها في نفسها، كما رأيتها، بالرغم من كونها في الجسد.